

إِمْتِدَادُ التَّجَسُّدِ

"الكلمة صار جسداً" (يو 1: 14)

تجسد الكلمة في رحم مريم يُبَشِّرُنَا بالإفخارستيا (بالقربان الأقدس). هذا الشمس الرائع للنفوس، الذي يُحْيِيهَا وَيُجَدِّدُهَا (للنفوس)، تُشْرِقُ في الناصرة وتصل في منتصف اليوم في الإفخارستيا، والتي ستكون ذروة محبة الله على الأرض. حبة الخردل الإلهية تَمَّ زرعها في رحم مريم العفيف. سَتَنْبُتُ وَتَنْصَجُ وَيَتَمَّ طَحْنُهَا لِتَتَحَوَّلَ لِلخَبزِ الإفخارستي. في الخُطَّةِ الإلهية التجسد والإفخارستيا لَهُمْ مُتَّحِدِينَ جِداً، وَكَأَنَّ كَلِمَاتِ القديس يوحنا يُمكنُ أَنْ تُتَرْجَمَ على هذا النحو: " الكلمة صارَ خبزاً " .

بالإشارة الي نص من كتاب للقديس بطرس جوليان إيمار، أريد، في إحتفالنا هذا الكبير، أن نتأمل التَّجَسُّدِ، مريم فائقة القداسة، الإفخارستيا ونحن.

كل ظروف سر التجسد كانوا مجيدين لمريم؛ وكلُّ شيءٍ لهُوَ مجيدٌ بالنسبة لنا في المناولة، والذي يجعلنا نشارك في شرف ومجد العذراء الفائقة القداسة.

إنَّ بداية سر التجسد حَدَثَ بين الملاك والعذراء الفائقة القداسة. الملاك يُبَشِّرُ بالسر ويطلب الموافقة من قبل مريم. نحن، كأفراد في عائلة الكلمة المتجسدة، نتأمل بعمق في هذا الحَدَثِ المُتعلِّقِ بِخِلاصِنَا.

الملاك الذي يدعونا إلى المناولة لهُوَ الكاهن، لهُوَ الكنيسة من خلال أَدَاتِهَا، أي الكاهن. يا لهُ مِنْ سِرِّ عَظِيمِ حَدَثٍ لِأَجْلِنَا! الكنيسة لهُوَ مَلِكَةٌ يَخْدُمُهَا الملائكة؛ لهُوَ عروسٌ ولِهذا السبب لا تُعَلِنُ الكَلِمَةَ القُرْبَانِيَّ فقط وَلَكِنْ أَيْضاً تَحْمِلُهُ وتعطيه لنا. يقول القديس بطرس جوليان الرائع أن: مَرِيَمَ لم تُؤْمِنَ في الذي قاله الملاك إن لم يكن في ضوء المعجزة التي أعلنها. بالنسبة لنا، نستطيع أن نُؤْمِنَ بالكنيسة، وفي قَوْلِهَا. لهُوَ أُمْنَا ونحن أبناءها، ولا أحد يقول لِأُمِّهِ: "هل هذا حقاً خبز؟ أَلَسْتُ تُعْطِينِي حَجَراً بَدَلاً مِنَ الخبز؟". الكنيسة تَتَكَلَّمُ ونحن نُؤْمِنُ بِقَوْلِهَا. الإعلان عن المناولة، إذًا، لهُوَ مَجِيدٌ بالنسبة لنا كما كان التبشير بالتَّجَسُّدِ بالنسبة لمريم.

التجسد يَفْتَرِضُ كَشْرَطِ حالة عذرية لمريم. الله لم يرد شيئاً آخر غير أم عذراء، وَقَدْ انتظر أكثر من أربعة آلاف عام، لِيَكُنْ مُجَهَّزاً له بيت القربان الطاهر هذا. إذًا الروح القدس حَلَّ على مريم العذراء حافظاً عُذْرِيَّتِهَا، ورافِعاً لها: وهكذا يصبح السر واقعاً.

وبالنسبة لنا، الله يطلب مِنَّا نقاوة القلب، التي هي حياةً للنفوس. من اللحظة التي لا نملك فضائل تليق بالله (كما كان حال سيدتنا فيما يتعلق بالتجسد)، فالله يريد منا أن نملك على الأقل احترام عميق وتواضع صادق تَجَاهَهُ. "يا رب، أنا لا أستحق أن أستقبلك لدي، بل ابتعد عني فأنا خاطئ مسكين". هذا الشعور يُعَوِّضُ ما يَنْقُصُنَا؛ بالذي يُسِرُّ الرب، بحيث، إذا امتلنا هذا الشعور، فالباقي سيعطينا إِيَّاهُ عند مجيئه إلينا في المناولة، كتجسدٍ آخر.

ليكن لدينا إيمان، تواضع، وثقة فقط ولندع الباقي ليسوع المسيح.

والملاك، كدليل على مهمته، أعلن لمريم المعجزة المتعلقة بحمل إيصابات، قائلاً: " فما من شيء يُعجز الله ".
والنفس العاقرة، كإيصابات، ستعود خصبة. لهذا من الضروري أن نحصل على الغذاء الذي يوصلنا إلى الخصوبة.
"الإفخارستيا ستجعلنا نعمل لمجد الله في يوم واحد أكثر من الذي سنعمله في كل حياتنا بدونها" عبّر عنه بحماس
القديس بطرس جوليان لرهينة عابدي القربان الأقدس.

في وسط العظمة هذه وَضَحَهَا الملاك أمام عينيها، مريم لم تعد ترى صغرها، عَدَمَهَا. هوذا مثأنا! مخلوقات
فقيرة، غير مستحقين أمام أعين الله...ولكن من اللحظة التي يتفضل بدعوتنا وإختيارنا سنقول ك مريم:
فليكن لي بحسب قَوْلِكَ.

شيء ما من السرّ الذي يتحقق في مريم خلال التجسد يتحقق فينا أيضاً. في لحظة المناولة، في الحقيقة يجب أن
تكون الإفخارستيا (القربان المقدس) امتداداً للتجسد، تفجيراً لنار محبته، والتي نقطة ارتكازها تكمن في الثالوث
الأقدس. في مريم الكلمة إتَّحَدَ بالطبيعة البشرية، ومن خلال الإفخارستيا يتَّحَدُ مع جميع البشر.

دعونا نستمع إلى ما يقوله القديس بطرس جوليان:

لِفِدَائِنَا كان يكفي أَنْ الكلمة يتَّحَدُ عَدَدِيّاً بخلقة بشرية واحدة؛ فقط أرادَ أَنْ يتألّم ويكفّر عن الخطايا في جسده ونفسه،
مانتاً بإسم الجميع في وسط عذاب شديد يعجز التعبير عنه.

لكن، عندما سُحِقَتْ هذه الإنسانية، أدَّت إلى مصدر كُلِّ التبرير، ويسوع المسيح حَوَّلَهُ إلى سرِّ، الذي يُقدِّم لِلْجَمِيعِ،
حتى يتمكن الجميع من المشاركة في استحقاقات ومجد الجسد الذي أخذه من مريم. أمفهومٌ إذاً أن الإفخارستيا هي
امتداد للتَّجَسُّد؟

والآن لا يبقى إلا الحصول عليها (بالتناول).

بالجرأة التي فقط يَمْتَلِكُهَا القديسين، القديس بطرس جوليان يقول: يلا العَجَبُ! عندما نتناول، نحصل على أكثر من
الذي حصلت عليه مريم في التجسد، لأن مريم في رحمها لم تَحْمِلْ إلا الجسد الذي كان خاضعاً (ومتأثراً) للكلمة، بينما
نحن نحصل على جسد غير متأثر وسماوي. مريم حَمَلَتْ رجل الآلام، بينما نحن نَمْلُكُ ابن الله مُتَوَجِّاً بالمجد. وليس
فقط، إننا نحصل عليه بطريقة أكثر تَعَزِيَةً؛ كل يوم مرّ.

مريم كانت ترى قُصَرَ الوقتِ الذي فيه يَجِبُ حمل الكلمة في رحمها العفيف، وفي نهاية الأشهر التسعة وَجَبَ عليها الإنفصال عن هذا الوزن الإلهي. أمّا بالنسبة لنا، على عكس ذلك، تَتَجَدَّدُ هذه النعمة في جميع الأيام، و إلى نهاية حياتنا يُمكننا أن نحصل وأن نُنْقِلَ الكلمة القُرْباني.

في النهاية، كنقطة أخيرة للتأمل، يُمكننا أن نقول أن الروح القدس، مُشكِّلاً إنسانية الكلمة في مريم الفائقة القداسة، قد وَهَبَ عروسه الاحتفالية الهدية الأكثر قيمة: والتي هي الكلمة الذي نَقَلَ لنا مجده وكل الفضائل على مستوى لم يُسمَع به حتى الآن.

وهذا الذي يحدث معنا: إنَّ كُلَّ مرة امتداد التجسد ، المناولة، القربان الأقدس يأتي إلينا، إنَّ رَبَّنَا بجميع عطاياه ونِعْمِهِ يُغْنِينَا باستمرار وبدون تَعَب؛ مِثْلَ شَمْسٍ أُخْرَى، والتي كُلُّ يومٍ تَعُودُ لِتَخْرُجَ بِرُوعَتِهَا العظيمة. كما لو كانت المرة الوحيدة والأخيرة.

الكلمة صار جسداً : هو ذا مجد مريم. الكلمة صار خبزاً إِفخارستياً: هو ذا مجدنا. ربنا أعطى نفسه مرة واحدة لكي يُرضي حُبَّهُ؛ عاد ليعطي نفسه لنا دونَ توقُّفٍ لِإشباع الحماس الجديد اللامتناهي. هو يجعل ذاته عطية، خبز، والكنيسة تُوزعه علينا. هل كان بإمكانه فعل المزيد؟

ربما يمكننا أن نقرب أكثر من أمِّه، لا أقول لِإستحقاقٍ أو لفضيلةٍ، ولكن في فيض حبه. مريم الفائقة القداسة عرفت ان تشكر على نِعَمِ الله.

بفضل نعمة الله، نحن في قربٍ خاصٍ من سر التجسد وفي نفس الوقت عَلمنا مؤسسنا حُباً عميقاً لسر الإفخارستيا؛ لنحب إذاً، نحن أيضاً على مِثَالِهَا، حيثُ يَمَسُّنا جزءاً من مجدها.